تقديم كتب
المناضل الشهيد الامين محمد سعيد

بقلم : دأحمد حسن دحلي

قبل استعراض المؤلفات الخمسة المنشورة للمناضل الشهيد الرفيق الامين محمد سعيد، سأتوقف برهة حول علاقاتنا في فترة النضال وبعد الاستقلال. لقد التقينا لأول مرة في عام 1969 في أحد معاقل الثورة الارترية، وتحديدا في جبل قدم لدى التحاقي بالميدان، وذلك بعدما كنت عضوا في خلية سرية لجبهة تحرير ارتريا منذ عام 1967، وكان الشهيد وقتذاك مسؤولا عن الجهاز الصحي في المنطقة الرابعة، بينما كنت احد اعضاء جهاز الرحبه الذي كان يشرف عليه المناضلان الشهيدان موسى باقر وأحمد حسب الله. ومنذ تلك الفترة توطدت علاقاتنا، فقد أجرت معه حوارات عديدة في حقبة الثورة، وبعد الاستقلال أيضا اجرت بعض المقابلات المعمقة معه لموقع المركز الارتري للدراسات الاستراتيجية. ولقد ذهبت برفقته ضمن وفد دولة ارتريا الى باريس والخرطوم وكسلا، كما شاركت معه في بعض اجتماعات " التجمع الوطني الديمقراطي السودني " في مصوع، وفي اللقاءات بين الحكومة الارترية والسودانية، فضلا عن ذهابي معه لإحياء احتفالات تحرير نقفه وافعبت ومصوع...الخ واللقاءات العامة والخاصة فيما بيننا لا تعد ولا تحصى، وكانت تتمحور حول هموم وشجون الوطن والشعب، وتتناول تطورات

احداث دول الجوار وحوض البحر الاحمر والنيل والشرق الاوسط والعالم، من دون اغفال الشؤون الخاصة.
المناضل الامين هو شخصية متعددة الأبعاد، ولذا فمن الصعوبة بمكان اختزالها في عدة كلمات معدودة في هذا المقام والمقال. فهو مناضل كبير، وسياسي مخضرم، وديبلوماسي محنك، ومفاوض متمرس، وكاتب مبدع، وقبل هذا وذاك فهو إنسان في غاية البساطة والتواضع والتفاني والصمود والحزم في القضايا التي آمن ويؤمن بها وذلك على مدى ما يربوا على أربعة عقود من تاريخ التحاقه بالثورة الإرترية منذ عام 1966م ولغاية يوم استشهاده بالسعودية في 13 نوفمبر 2021 وهو يخوض نضالا سياسيا ضد اعداء الوطن والشعب على الصعيدين الاقليمي والدولي، ويحث المواطنين في نفس الوقت ان يبذلوا قصار جهدهم في عملية التصدي والتحدي لجميع العوائق والعراقيل من جهة، والمساهمة بفاعلية في مسيرة بناء وطن مزدهر في رحاب عدالة اجتماعية وسيادة روح ديمقراطية من جهة اخرى. فمسيرته الطويلة والشائكة والثرية والنابضة بالتضحيات والنضالات والإبداعات في سبيل حرية واستقلال ونمو ورقي ورفعة إرتريا بلدا وشعبا امتدت لخمسة عقود وخمس سنوات كاملة. ولا يمكن في هذه المقالة ايفاء هذا الرفيق القدوة ما يستحقه وما هو جدير به، ولكني وفي هذه المقالة سأتوقف وبإختصار شديد على مؤلفاته الخمسة.

كتب المناضل الامين الخمسة المنشورة

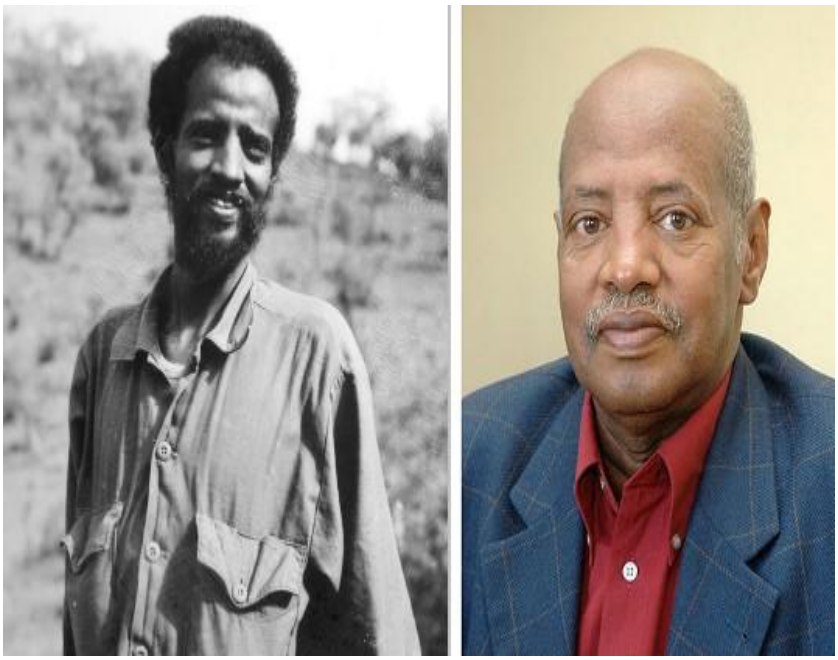

يعتبر المناضل الشهيد الامين محمد سعيد من القيادات السياسية الارترية النادرة التي طرقت باب توثيق تاريخ النضال الارتري، فقد سبقه في ذلك المناضلان الشهيدان عثمان صالح سبي ومحمد سعيد ناود وغيرهما. صحيح ان الامين صدرت له حتى الآن خمسة كتب فقط، ثلاثة منها سياسية واثنين ذات طابع وبعد ادبيين. وان ثلاثة كتب اخرى تدرج ضمن خماسية بعنوان " ارتريا أرض البحر " لم تصدر بعد، ولست ادري ما إذا كانت ظروف العمل الدءوب والصحة قد سمحت له بذلك.
وكنت من طرفي أحثه على أن يعطيها الاولوية أيضا بحكم أهميتها التي لا تقل عن النشاطات السياسية، لكونها تسجل وتؤرخ للذاكرة الجماعية للشعب الارتري، وتشكل المعين الذي لا ينضب والذي ينهل منه جيل الخلف عن جيل السلف، ولا سيما وان المناضل الامين كان حريصا على إعداد الكوادر على خير وجه، لكي يتحملوا مسؤولية قيادة الوطن على الصعيد ألمستقبلي، ويكونوا خير خلف لخير سلف. وعلاوة على كتبه الصادرة، لا مندوحة من الاشارة الى يوميات المناضل الامين محمد سعيد والتي بدأ في كتابتها منذ التحاقه بالثورة الارترية في عام 1966، وسجل فيها الاحداث الي عايشها وواكبها وتعتبر كنزا ضخما وثمينا من المعلومات والتي يمكن ان تنشر في عدة كتب، هذا من دون الحديث عن المقالات والدراسات التي أعدها والتي نشر البعض منها، بينما معظمها يوجد في مكتبته الغنية بالكتب والوثائق والأبحاث والدراسات، وفي حاسوبه المكتبي والمحمول.

الكتاب الأول " الثورة الارترية: الدفع والتردي "

هذا هو باكورة الكتب التي الفها المناضل الشهيد الامين محمد سعيد، و أصدرته في سبتمبر 1992 في اسمرا مطبعة دوقال. يقع اكتاب في 432 صفحة من الحجم

المتوسط، ويحتوي على خمسة فصول أستهلها بمقدمة تاريخية أستعرض خلالها الاحداث السياسية التي شهدتها الساحة الارترية بعد هزيمة ايطاليا الفاشية في الحرب الكونية الثانية.

يتناول الفصل الاول كيفية تكوين جبهة تحرير ارتريا في عام 1960 وتناقضاتها الداخلية وصولا الى مؤتمر ادوبحا في عام 1969 ". وفي الفصل الثاني يحلل تأسيس قوات التحرير الشعبية في عام 1970 وأجنحتها المختلفة وصراعاتها الداخلية. وفي الفصل الثالث يستعرض المؤلف حيثيات بروز " الاتجاه التصفوي في الثورة الارترية " الذي اشعل الحرب الاهلية بين رفاق المسيرة والمصير. وفي الفصل الرابع يتوقف عند " الجبهة الشعبية والجهود التي بذلت لتحقيق وحدة الثورة." وفي الفصل الخامس والأخير تناول " تجمعات جبهة تحرير ارتريا " بمختلف توجهاتها، علاوة على " مجموعة المنخفضات أو الحكم الذاتي " التي لفظتها المسيرة النضالية التحررية للشعب الارتري.

وكتب المناضل الامين في مستهل كتابه وبكل تواضع " في هذا الكتاب...حاولت جاهدا أن اضع النقط على الحروف للأسباب التي لم تؤدي الى تحقيق وحدة " الفصائل الارترية ". وإنني لا أدعي إطلاقا بأني أصبت الحقيقة في عينييها لأن هذا يحتاج الى جهد كبير من البحث والتمحيص، وأنا لست في الوضع الذي يمكنني من ذلك. لكنني مقتنع بأنني بدأت عبر هذا الكتاب أن اخطو الخطوة الاولى تاركا الخطوات الاخرى للذين هم أكثر دراية ومعرفة مني بقواعد وأصول عملية البحث والتمحيص."

وأخيرا يقول الكاتب " كلمة لا بد منها " جاء فيها " ...لم يكن من العيب ان تعتري حركة الثورة الارترية حالات الاندفاع والتردي. الاندفاع بإتجاه تحقيق الهدف الاساسي والمتمثل في احراز الاستقلال الوطني والتحرر الاجتماعي، وما يمثله هذا الاندفاع من نكران للذات والتفاني بالغالي والنفيس، ووضع الحلول الصحيحة لمختلف مراحل نضال التحرر الوطني. واستخلاص العبر والنتائج عبر عملية النقد والنقد الذاتي. وعدم التهاون أو التراخي امام المسائل التي تتعرض للشخصية الوطنية الارترية، والاعتماد على الذات، وتسليح وتنظيم وتوعية الشعب " هذا من جهة " والتردي بإتجاه العودة الى الخلف بفعل عوامل التجزئة والتخلف وأمراض واقع المجتمع" من جهة اخرى.

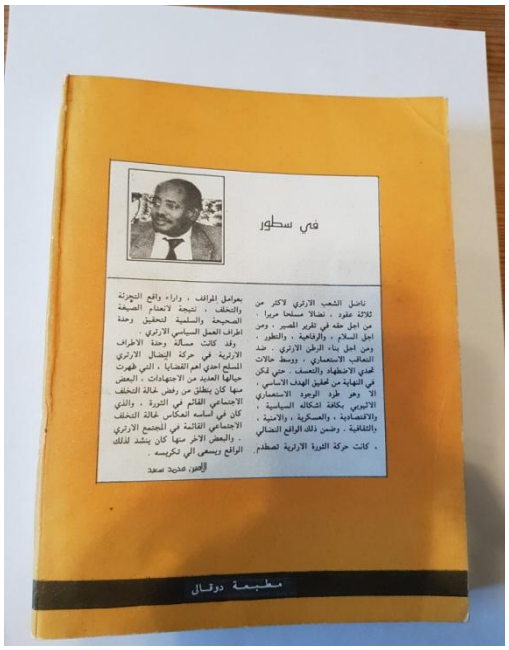

ويجدر التنويه بأن هذا الكتاب حافل بالعديد من بيانات الثورة الارترية، فضلا عن وجود ملحق خاص بالوثائق والتي لم تنل حتى ألان ما هي جديرة به من بحوث ودراسات في مختلف الحقول السياسية والاجتماعية والعسكرية...الخ سواء كان ذلك على الصعيد الارتري أو الاقليمي أو الافريقي أو العربي أو الدولي. ولدى صدوره اثار هذا الكتاب الكثير من النقاشات والحوارات لكونه تناول العديد من اشكاليات وتحديات الثورة الارترية الداخلية التي تتباين الاراء والتحليلات حول طبيعة اسبابها وكيفية تطورها والعواقب التي ترتبت عليها، وهذا ليس بالأمر الغريب ولا المستغرب في حقل الدراسات سواء كانت سياسية أو تاريخية أو اجتماعية أو اقتصادية ...الخ

الكتاب الثاني: " حق لا يقبل المساومة "

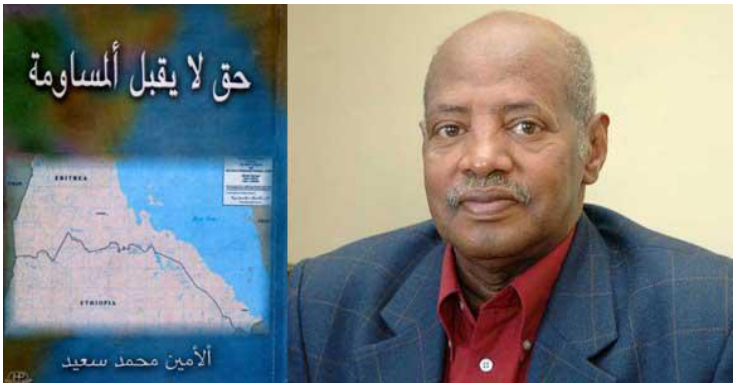

صدر هذا الكتاب القيم في مايو 2002 عن دار " الامانة للنشر " في أسمرا، وتمحور حول المفوضات المكوكية التي جرت بين ثوار ارتريا وحكام اثيوبيا في عدة عواصم غربية وشرقية وشمالية وجنوبية شارك فيها وسطاء من السوفييت والأمريكيين والألمانيين الشرقيين واليمينيين الجنوبيين على حد السواء. وجميع تلكم المفاوضات سعت بطريقة أو اخرى الالتفاف على حق الشعب الارتري الشرعي والمشروع في تقرير المصير وفي الحرية والاستقلال. ولكن هيهات ، فإن القيادة الثورية الارترية المسلحة بالخبرة التاريخية والسياسية والنضالية للشعب الارتري لم تسقط في فخ المساومة السياسة الالمانية الشرقية والسوفيتية واليمنية الجنوبية والأمريكية، ومن هنا أتى عنوان الكتاب " حق لا يقبل المساومة ". استهل المؤلف كتابه بمقدمة جاء فيها " هذا الكتاب مقدم اساسا لكل مواطني ارتريا وبشكل خاص الشباب منهم، ولكل المهتمين والمعنيين بالشأن الارتري والاثيوبي. ان ما حدث ويحدث في ارتريا لا يرجع لكونها بلدا صغيرا محدود السكان فقط، بل لأنها تتمتع بإمكانيات يمكن ان تكون واعدة. بالإضافة الى تمتعها بموقع استراتيجي هام في الساحل الغربي من البحر الأحمر قريبة من حقول وأبار النفط في منطقة الخليج ومصادر المواد الاولية في أفريقي هذا مما جذب اليها اطماع العديد من القوى الدولية والإقليمية وبشكل خاص اطماع انظمة الحكم في اثيوبيا. والهدف الاساسي والذي بسببه اشعل نظام ملس زيناوي الحرب على ارتريا هو ابعاد الجانب القانوني لطبيعة المطالب الارترية المشروعة في ترسيم الحدود بين اثيوبيا وارتريا."

يدرج هذا الكتاب في سياق نشاط وجهد الشهيد الامين محمد سعيد في توثيق الاحداث التاريخية الراهنة والتي اثرى بها المكتبة الوطنية الارترية بالكتب التاريخية، ناقلا وبأمانة علمية تطورات القضايا السياسية الارترية المصيرية الى الجيل الصاعد الذي تنقصه الكثير من مفاصلها المحورية، ويفاجئ المتابع الدقيق للحقبة التاريخية التي يغطيها ببعض المعلومات الجديدة. والكتاب قيم ويستحق حقا القراءة، ويعتبر اضافة حقيقية الى الذاكرة الجماعية للشعب الارتري، هذا علاوة على انه يضع بين ايدي الباحثين والمؤرخين والصحفيين والقراء حقائق تاريخية من مصادرها الاولية ، وينابيعها الأصلية يمكن الاستفادة منها في فهم وتحليل فن المفاوضات واستخلاص الدروس والعبر منها.

يقع كتاب " حق لا يقبل المساومة " في 176 صفحة من الحجم المتوسط، ويتوزع على سبعة فصول، يقول المؤلف عنه " هذا الكتاب عبارة عن سرد موجز لأهم محطات التفاوض المباشر التي كانت تجري بين ارتريا ممثلة في الجبهة الشعبية

لتحرير ارتريا ومع أنظمة الحكم الإثيوبية [نظام منقستو هيلي ماريام العسكري ونظام ملس زيناوي] وعبر طرف ثالث وسيط." ويتابع قوله " حاولت في هذا الكتاب ان ابذل قصارى جهدي لأكون صادقا وواقعيا في سردي لما كان يجري من لقاءات، وما كان يطرح فيها من مواقف سياسية لمختلف الفرقاء. كما سعيت قدر المستطاع الابتعاد عن الانجراف وراء عاطفتي بفعل المعاناة التي عانى منها مناضلو الثورة الارترية، وانأ واحد منهم، أو بفعل الانتهاك الصارخ لحقوق المواطنين الارتريين والذي أنا جزء منهم."

صحيح ان المناضل الشهيد الامين محمد سعيد الزم نفسه وبصورة صارمة للغاية على عدم البوح بانطباعاته الشخصية، والتزم وبدقة كبيرة بسرد الوقائع كما هى باعتبارها تتحدث بنفسها عن نفسها بصورة بليغة، ولكن وفي حالات عديدة فان الانطباعات الشخصية تكشف ما لا يكشفه الوثائق الرسمية، لا سيما في المفاوضات الماراثونية التي جرت بين الثورة الارترية ونظام الدرق الأثيوبي منذ عام 1978 ولغاية عام 1991، أي على مدى 13 سنة كاملة شارك فيها المؤلف بصورة مباشرة، خاصة المفاوضات التي جرت في كل من برلين الشرقية وعدن ونيقوسيا واتلانتا ونيروبي والخرطوم ولندن... ونأمل ان يأتي ذلك في إطار مذكراته الخاصة.

يكشف المؤلف بان لا احد كان يراهن وبصورة جدية على نجاح المفاوضات لأسباب موضوعية. فالعملية كانت برمتها، والى حد كبير، بمثابة لعبة القط والفأر، فالطرف الاثيوبي كان يحاول الالتفاف على حق تقرير المصير للشعب الارتري، بحصره في الحكم الذاتي، وفي افضل الاحوال على النظام الفيدرالي، وذلك بدعم مستور أو مكشوف من الوسطاء، سواء كانوا من الالمان الشرقيين أو اليمنيين الجنوبيين أو الأمريكيين. وبالمقابل فإن وفد الجبهة الشعبية لتحرير ارتريا رفض رفضا قاطعا تقديم أي تنازل أو مساومة بحق الشعب الارتري في تقرير المصير الذي يتضمن حق الاستقلال التام عن أثيوبيا.

فإذا كان النظام الأثيوبي ابان عهد الكولونيل منقستو هيلي ماريام يناور أبان المفاوضات لكسب الوقت والتقاط الأنفاس، وترتيب وتنظيم حملات عسكرية جديدة بعد فشل الحملات العسكرية القديمة، فان هدف الجبهة الشعبية لتحرير ارتريا كان له أبعاد سياسية تمحورت في إضفاء طابع دولي على القضية الارترية التي كانت الأنظمة الاستعمارية الأثيوبية تسعى وبشتى السبل في حصرها ومحاصرتها في النطاق الأثيوبي الداخلي، واعتبارها مسألة داخلية ليس إلا. وإذا كانت الثورة الارترية ممثلة في الجبهة الشعبية لتحرير ارتريا نجحت في طرح

القضية الارترية في المحافل الدولية، وكسر جدار العزلة الذي فرضته أثيوبيا عليها، فان الجانب الأثيوبي اخفق إخفاقا فادحا في تحقيق أي مكاسب عسكرية على الأرض، وفشل في فرض سياسة الأمر الواقع بالقوة على الثورة الارترية التي استطاعت احتواء الحملات العسكرية الأثيوبية المدعومة من الاتحاد السوفيتي السابق، الواحدة تلو الأخرى، قبل أن تأخذ زمام المبادرة العسكرية وتلحق الهزائم بالجيش الاستعماري الأثيوبي، وتشرع في عملية تحرير المدن بعد المدن، إلى أن حررت كل شبر من التراب الوطني الارتري في 24 مايو 1991,

اربع نقاط ارترية مقابل خمس نقاط امريكية

لقد احتوى الكتاب على بعض المسائل الجديدة الى حد ما كما تم التنويه آنفا ولم توضع تحت المجهر بما فيه الكفاية وقتذاك. ومن ضمن تلك القضايا مشروع الساعة الاخيرة الذي تقدمت به الادارة الامريكية قبل ستة اشهر من استقلال البلاد، وكان ذلك في نوفمبر 1990 بواسطة مسؤول الادارة الافريقية في مجلس الامن القومي الامريكي حينذاك روبرت فريزر، ومسؤول قسم شرق افريقيا في وزارة الخارجية الامريكية آنذاك دافيد سون. وتم طرح المشروع الامريكي على وفد الجبهة الشعبية لتحرير ارتريا في 8 نوفمبر 1990، ابان اللقاء الذي جرى في العاصمة السودانية، الخرطوم.

وهذه هى النقاط الخمس التي تقدم بها الوفد الامريكي كأساس للنقاش بين الطرفين الاثيوبي والارتري:

1 ـ المبدأ الاساسي

ان يكون لأثيوبيا دستورا فيدراليا يؤكد على ان تكون لارتريا حكومة ذاتية.

2 ـ الهيكل
يتفق الطرفان في اللقاء القادم على صلاحية المجلس الذي يكون السلطة الحكومية.
3 ـ الانتخابات
بعد مضي سنوات من انتخابات المجلس، يجري استفتاء في ارتريا تحت مراقبة دولية للمصادقة على الدستور أو رفضه.
4 ـ الضمانات
يتطلب من الطرفين مناقشة نظام حل الخلافات أو المراقبة الدولية.

5 ـ عملية خلق الثقة

بعد التوصل الى اتفاق حول النظام الحكومي، يتم في ارتريا وقف لاطلاق النار وتخفيض القوى العسكرية لكلي الطرفين تحت اشراف ومراقبة دولية. ويقوم كلا الطرفان بإعطاء الاهتمام الضروري لمطالب بعد التوصل الى اتفاق حول النظام الحكومي، يتم في ارتريا وقف لاطلاق النار وتخفيض القوى العسكرية لكلي الطرفين تحت اشراف ومراقبة دولية. ويقوم كلا الطرفان بإعطاء الاهتمام الضروري لمطالب عمليات الاغاثة الطارئة وتخفيض القوى العسكرية لكلا الطرفين بإعطاء الاهتمام الضروري لمطالب عمليان الاغاثة الطارئة في ارتريا خاصة ما يتعلق بنشاطات الامم المتحدة في ميناء مصوع."

وفي مقابل ذلك " طرحت الجبهة الشعبية لتحرير ارتريا مبادرة واقعية وعملية في 19 فبراير 1991 على الادارة الامريكية حول كيفية ايجاد حل سياسي سلمي، على الرغم من تردي الاوضاع السياسية في مجمل ربوع اثيوبيا."

المبادرة الارترية
تكونت المبادرة الارترية من اربعة بنود وهى:
1 ـ تحل القضية الارترية وفق ارادة الشعب الارتري بتقرير مصيره عبر استفتاء تتولى الامم المتحدة وبصورة مباشرة ادارة عملية الاستفتاء.
2 ـ لحين ان يتم حل القضية الارترية وفق ارادة الشعب الارتري عن طريق الاستفتاء، تنشر الامم المتحدة قوات حفظ سلام دولية في ارتريا وتقيم ادارة للمرحلة الانتقالية.
3 ـ قبل اجراء الاستفتاء يتم جلاء جيش الاحتلال الاثيوبي بكل مؤسساته القمعية، ويتزامن ذلك مع تثبيت قوات حفظ السلام الدولية اقدامها في ارتريا.

4 ـ بعد انتهاء عملية المحادثات الاستكشافية واقتناع الجبهة الشعبية لتحرير ارتريا بذلك، لا بد من ضمانات لإجراء المحادثات التالية برمتها تحت المظلة القانونية للامم المتحدة.

ولكن وفي خاتمة المطاف، تلاشت كل المبادرات والمبادرات المضادة وسط دخان الحرب، ودخل نظام الدرق في مزبلة التاريخ، ونالت ارتريا حريتها في عام 1991، وذلك لاول مرة منذ برزها في الخريطة الجيو سياسية للقرن الافريقي في العقد الاخير من القرن التاسع عشر، اي بعد نضال امتد لقرن كامل، تعاقبت في غضونه في حمل وتحمل شعلة النضال السياسي والعسكري ثلاثة اجيال ارترية متعاقبة.

الحرب الاخيرة

تناول المؤلف في الفصل السابع والأخير من كتابه بصورة مختصرة حرب السنوات الثلاث التي فجرها نظام الوياني على ارتريا { 1998 ـ 2000}، وذلك في 65 صفحة، وتوقف على ابرز محطات تلك الحرب التي وجدت في خاتمة الأمر، أي في 13 ابريل 2002، حلا قانونيا نهائيا، توج بالتأكيد على ارترية بادمي، وهذا وفي حد ذاته شكل صفعة تاريخية وسياسية وقانونية للنظام الاثيوبي الذي حاول وبالحديد والنار فرض سياسته التوسعية على انقاض السيادة الوطنية الارترية، ولكن الشعب الارتري وحكومته وقوات دفاعه الباسلة تصدوا واحبطوا مخططاته التوسعية، واجبروه على الجلوس الى طاولة المفاوضات، وعلى القبول بعملية ترسيم الحدود الدولية بين دولة ارتريا واثيوبيا على اساس معاهدة 1900 و1902 و1908، والتي بموجبها تبوأت قرية بادمي موقعها التاريخي في داخل التراب الوطني الارتري.

الكتاب الثالث " ارتريا أرض البحر ـ الاطماع "

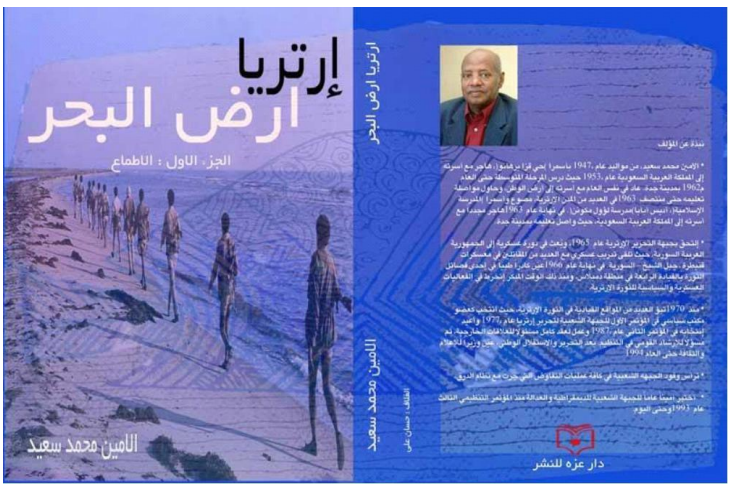

هذا الكتاب " ارتريا أرض البحر " - **الأطماع** - " يشكل الجزء الاول من خمسة أجزاء برمجها الكاتب الامين محمد سعيد، استعرض فيه الحياة التاريخية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية الإرترية لمرحلة ما قبل مجيء وبعد دخول المستعمر الإيطالي، بأسلوب أدبي مباشر وسهل وسلس ورشيق وجذاب، عبر شخصيات فنية تقوم بأدوار مختلفة في إطار العمل الأدبي والمهمات المنوطة إليها. علما إن هناك مسحة خفيفة وخفية من السيرة الذاتية تضفي نكهة خاصة على هذا العمل الأدبي. ولقد حرص الكاتب على ان تكون تلك اللمسة الذاتية بين السطور وان لا تطفو على السطح إلا في بعض المواقف النادرة وبصورة غير مباشرة أيضا، بحث إنها ربما قد تشد انتباه هذا الباحث وستوقفه لكي يستنطقها، وربما يمر عليها مرور الكرام ذاك القارئ من دون شعور أو إحساس أو إدراك.

فعلى عكس المرات السابقة، فان الكاتب لجأ هذه المرة إلى الأسلوب الأدبي ليس لسرد الوقائع المتعددة الأبعاد والمتنوعة الأشكال، وانما لرواية الأحداث على لسان أهل البلد أنفسهم من دون إسقاطات خارجية، وعبر إفساح الحرية للشخصيات التي نسجها الكاتب لكي تعبر عن نفسها، وتنيط اللثام عن أغور أغوار مشاعرها الداخلية وأحاسيسها الدفينة، وتتحدث عن عاداتها وتقاليدها من دون رتوش وبلا حرج، وتعكس ظروفها الاقتصادية وأوضاعها الاجتماعية. وقبل هذا وذاك، فان تلكم الشخصيات المحورية مسكونة بالهاجس الوطني، لا لشئ آخر، وانما لكونها وليدة الأحداث التي زجت بها ومنذ نعومة أظافرها في خضم ومعمعة الغليان السياسي الذي اكتوت إرتريا بنيرانه السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي ما بين الحربين العالميتين.

ولقد وفق الراوي في رواية الأحداث في هذا الجزء الأول عبر شخصياته من دون اي تدخل سافر من طرفه لتوجيه دفة الأمور برغم حضوره، بحيث لا يشعر القارئ بان شخصيات العمل الأدبي مسلوبة الإرادة ومجردة من الحرية، بالعكس فانها تتحرك باستقلالية، وتتحدث بطلاقة، وتفكر بحرية، وهنا تكمن الصعوبة كل الصعوبة في العمل الروائي أو في القصة.

صحيح نحن هنا لسنا أمام عمل أدبي من نسيج الخيال الخالص، بحيث نتوقع انفلات الشخصيات التام من رقابة الكاتب أو الروائي أو القاص سواء بصورة تدريجية، أو عبر ثورة عارمة، أو بطريقة عفوية، أو من باب الصدفة، أو من خلال انغماس وغرق وذوبان الراوي المطلق في المروي لدرجة التفاني والتلاشي، ولكن نحن هنا أمام عمل تاريخي وسياسي واقتصادي وثقافي مسرود

في قالب أدبي، لا يستخلص من ذلك بأننا أمام إنتاج لا يلجأ أو يستخدم الخيال، بل كل ما في الأمر إن الخيال هنا وسيلة وليس غاية. وعليه فلا غرابة إذا ما تم توظيفه لأداء مهمة محددة للغاية، ألا وهي خدمة العمل الأدبي بكل أبعاده.
اعتمد الكاتب على عدة شخصيات لبلورة القضايا التي تناولها، فيعتبر إدريس محمد صالح جابر شخصيته المحورية، ويحرص على أن نتعرف عليه ويعرفنا من خلاله بصورة فنية وغير مباشرة عن الوضع العام في إرتريا بقوله "لم يكن إدريس الابن البكر للشيخ محمد صالح يفقه ما يرويه والده من سياسة مصادرة الأرض ... التوطين ... والإيطاليين نظرا لصغر سنه، إذ لم يكن قد بلغ الثانية عشر من عمره، وقصر مداركه. وكل همه كان منصبا في كيفية إجادة لعبة "البيب" و "القرشبع" ... بهدف التفوق على اقرانه، والتباهي أمام والده وأعمامه. إلا إن إدريس ومن ناحية ثانية كانت تستهويه الحكايات الشعبية التي كانت ترويها له جدته حليمة، مثل حكاية "الراعي والغنم والذئب" وحكاية "سهيل الذي كان يبحث عن خطيبته التي اختطفها عملاء الرقيق". وكان شديد الإعجاب بجسارة "سهيل" في مقاومة الأشرار.

وهكذا يأخذ الكاتب بتلابيب يدنا لكي نتوقف ونرصد حقيقة وطبيعة شخصيته المحورية التي تتحلى بالواقعية، وتكاد سماتها الأساسية تنسحب على كل أطفال إرتريا عامة، وتنطبق على وجه الدقة على أطفال مدينة مصوع والقرى المحيطة بها، ويعزي ذلك لكون إدريس محمد صالح هو أحد أبناء قرية حليب الخيالية الواقعة على بعد بضعة كيلومترات من ميناء مصوع. ومع نمو وتبلور شخصية إدريس وصديقيه اسماعيل عمريت وحقوص ارعدوم تنمو وتتبلور الأحداث السياسية الكبيرة التي عصفت بإرتريا، ونقصد بها قدوم المستعمر الإيطالي الى إرتريا في نهاية القرن التاسع عشر، والحقبة الفاشية من العهد الاستعماري الإيطالي، ودخول إرتريا تحت الانتداب البريطاني بعد نهاية الحرب الكونية الثانية، ونسج خيوط المؤامرة الفيدرالية بين إرتريا وأثيوبيا من قبل الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، وتفارخ الأحزاب السياسية الإرترية وادارة صراعاتها الداخلية من قبل القوى الدولية، لمحاصرة وخنق وإجهاض المشروع الوطني الإرتري، وفشل القوى الوطنية الإرترية في تعرية وإحباط المخططات الدولية والإقليمية من ناحية، وعدم قدرتها على لملمة القوى الوطنية الإرترية وتوحيد شمل الصف الوطني الإرتري بصهره في بوتقة مشروع وطني واحد، بغية العبور بسفينة الوطن، في وسط كل تلك الأمواج المتلاطمة، الى بر الأمان.
ففي ظل هذه الظروف وتلك المعطيات لا عجب إذا ما خلت الساحة الإرترية للسلطات الأثيوبية من أي حسيب ورقيب من قبل أي طرف من الأطراف الدولية

والتي كان بالأساس من العبث الرهان عليها وعلى دورها في هذا الصدد بأي حال من الأحوال، بحكم إنها عمليا هي التي حاكت المؤامرة السياسية القاضية بمصادرة حق الشعب الإرتري الشرعي والمشروع في تقرير المصير، على غرار بقية المستعمرات الإيطالية في القارة السمراء، أي ليبيا والصومال. فغدت أثيوبيا " الإمبراطورية " رويدا رويدا تتمادى في انتهاك بنود ونصوص الإتحاد الفيدرالي، وتزامن ذلك مع تخيم شبح عدم الاطمئنان والاستقرار، بعد ما بث رجال الأمن الأثيوبيين وعملائهم الخوف والقلق والهلع في شتى أرجاء البلاد، وأضحوا يزجون بعشوائية في غياهب السجون المكفهرة والكئيبة كل مواطن إرتري لا لجريمة اقترفها، وانما لمجرد الشك في كونه عنصرا وطنيا، ثم الشروع في ممارسة ابشع وافظع أشكال التعذيب البدني والنفسي ضده. ففي ظل سيادة هذه الأجواء السياسية المأزومة والمتأزمة، لا غرابة إذا ما سقط إدريس وحقوص واسماعيل في حبائل عناصر الأمن الأثيوبية التي كانت تتعقب تحركاتهم وترصد سكناتهم وتتابع نشاطاتهم الوطنية المناهضة لربط إرتريا بسلسلة الفيدرالية مع أثيوبيا، فما بالك إذا كان الأمر يتعلق بإذابة الهوية الإرترية في الكيان الإثيوبي.

وهكذا ذاق الأصدقاء الثلاثة وعلى مدار سبعة اشهر كاملة الأمرين في سجون أثيوبيا التي بارحوها ذات يوم من أيام شهر يوليو عام 1956م ليعانقوا شعاع شمس الحرية المقيدة، وليلاحظوا بأن الحياة الاقتصادية ازدادت ترديا وتدهورا بحيث أمست لا تطاق، هذا علاوة على إدراكهم بأنهم ومنذ فجر خروجهم من السجن يوجدون تحت قيد المراقبة الدائمة المرهقة عصبيا والمنهكة نفسيا.

جملة هذه الظروف السياسية والإقتصادية جعلت إدريس وحقوص واسماعيل في التفكير في هجرة الوطن الى السودان بغية توفير لقمة عيش شريفة وآمنة من ناحية، ولكي يواصلوا نضالهم السياسي ضد أثيوبيا من ناحية أخرى. وهكذا اختلق إدريس حيلة الذهاب إلى مدينة كرن للمشاركة في عرس أحد أقربائه، ولم يمكث فيها إلا سويعات معدودة وذلك حتى لا يكشف أمره، فغادرها على وجه السرعة قاصدا مدينة اغوردات، قبل أن يستقر به المقام بمدينة كسلا السودانية بعد رحلة ماراثونية مشوبة بمشاعر الخوف والقلق من جانب، ومحفوفة بتباشير أمل كبير في بداية حياة جديدة وطرق أبواب مواصلة النضال بأسلوب مختلف من جانب آخر.

لم يعتمد الكاتب في عمله الأدبي الجديد على شخصية واحدة تروي الأحداث الكبيرة منها والصغيرة كما هو الحال في بعض الروايات الأحادية البعد والأفق، وانما وعلى عكس ذلك خلق سيمفونية رائعة وخلابة بين الشخصية المحورية، إدريس محمد صالح، والشخصيتين الأساسيتين، أي حقوص ارعدوم واسماعيل عمريت، وشخصيات عامة وأخرى عرضية مثل الشيخ محمد صالح جابر وزوجته ملوك عبدالقادر وترحس وفاطمة ولؤول ونجاش... الخ، وكل تلكم الشخصيات تملك مبرر وجودها في سياق مجريات تطورات الأحداث التي تسلط عليها الأضواء الساطعة في معظم الأحيان، وتلقي عليها بظلالها المواربة في بعض الحالات.

والمهم في الأمر، ان هذه الشخصيات تكشف بدورها ليس عما يختلج في صدرها، أو ما يدور في ذهنها، أو ما يتفاعل في نفسها فقط، بقدر ما تم أيضا توظيفها من قبل الكاتب في سبر أغوار العادات والتقاليد الإرترية انطلاقا من مجريات الأمور اليومية العادية في أسرة إدريس في السهول الشرقية وترحس في المرتفعات الوسطى، ومراسيم الزواج التي أبدع الكاتب في رصدها بصورة ممتعة ومبدعة وغاية في الدقة، وتوغل وتغلغل في جزئيات تفاصيلها الدقيقة إلى ابعد الحدود، بما يوحي برسم صورة حية وناطقة عن سريان وتدفق المشاهد وانسيابها بسلاسة وتألق وإحكام.

الكتاب الرابع: " نريد أرض ارتريا وليس شعبها "

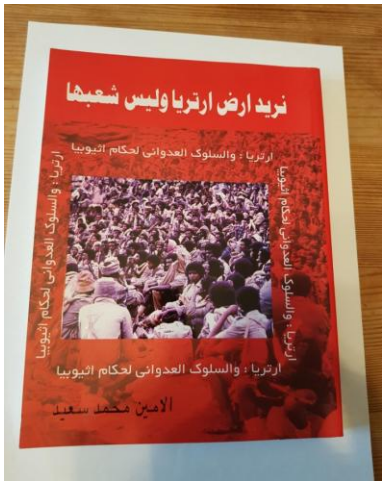

صدر هذا الكتاب للمناضل الكبير الشهيد الامين محمد سعيد في عام 2010 عن " دار عزة للتوزيع والنشر " ألسودانية، ويقع في 198 صفحة، توزعت في اربعة فصول. شرح الكاتب في الفصل الاول " النزعة العدوانية والتوسعية لحكام أثيوبيا "، وفي الفصل الثاني سلط الاضواء على سياسة اثيوبيا الاستعمارية والعدوانية منذ عهد هيلي سيلاسي لغاية عهد ملس زيناوي مرورا بعهد منجستو هيلي ماريام. ثم تناول سياسة حكام اثيوبيا الازدرائية بقدرات ارتريا الاقتصادية، وتحديدا في المجال الزراعة والثروة الحيوانية والتعدين والصناعة. وفي الفصل الرابع والأخير حلل المؤلف ظاهرة الوياني.

يقدم المؤلف كتابه قائلا: " هذا الكتاب هو عبارة عن سرد موجز لمعاناة ارتريا من الاطماع التوسعية الاثيوبية سواء من الاباطرة منهم، أو من ادعى التقدم والديمقراطية في عصرنا الراهن. وكان من الحتمي بمكان ان يبقى الموقف الاساسي للشعب الارتري بالمفهوم السياسي العام ممثلا في:

1 ـ دحر التوسع.

2 ـ تحقيق الاستقلال الوطني والتحرر الاجتماعي والاقتصادي.

3 ـ تحقيق السلام والاستقرار بما يخدم المصلحة العامة لإرتريا والمنطقة."

أهمية هذا الكتاب تكمن في توثيقه لجزء مهم من الجرائم السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي ارتكبتها الانظمة الاثيوبية المتعاقبة منذ عهد هيلي سلاسي لغاية

سقوط نظام الوياني. ولكن الكثير والكثير يحتاج الى دراسة منهجية شاملة تغطي وبصورة مفصلة مختلف الجرائم الاثيوبية التاريخية والسياسية والعسكرية والاقتصادية التي أرتكبت بحق الشعب الارتري على مدى 66 سنة كاملة، أي من عام 1952 لغاية عام 2018.

الكتاب الخامس : ارتريا أرض البحر " الغضب العارم "

وفي كتاب " الغضب العارم " أي الجزء الثاني من خماسية مشروعه الأدبي الضخم، آخر كتاب صدر له وهو على قيد الحياة، توقف الكاتب الشهيد الامين محمد سعيد على خمس محطات تاريخية ألا وهي: " **الصحوة، وأهمية تبني خيار الكفاح المسلح، ولعلعة رصاصات البدء، وبداية العنف الذاتي، والانطلاقة العرجاء** " . ويتناول الكاتب الأحداث السياسية الإرترية وفق تسلسلها التاريخي مع إضفاء أبعاد اجتماعية وثقافية واقتصادية ونفسية عليها عبر الحياة اليومية للشخصيات التي توجد في قلب الأحداث تأثرا وتأثيرا أيضا، وهذا مما يثري الكتاب على غرار ما نهجه الكاتب في الجزء الأول. **والغضب العارم** للشعب الإرتري بكل معطياته واشكالياته لا يعدو أن يكون نتيجة طبيعية ومنطقية وتاريخية ترتبت على أطماع أباطرة أثيوبيا وحلفائها من ناحية، وتعكس من ناحية أخرى واقع إرتريا التاريخي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي بموضوعية وبلا رتوش أو ماكياج.

وريدا رويدا يتغلغل إدريس محمد صالح، الشخصية المحورية التي تعرفنا على تفاصيل تركيبتها ومركباتها المتعددة الأبعاد في **الجزء الأول** . **الأطماع** . ، في كبد الحياة السودانية بجميع تضاريسها بما لها وعليها، وتتقاسم معه الدور يكاد يكن مناصفة هذه المرة شخصية سودانية وهي محجوب الجعلي التي تكشف وتكتشف وتجسد بحق وحقيقة في ذات الآن عمق الروابط التاريخية والثقافية والاجتماعية بين الشعبين في السودان وفي ارتريا. والى ذلك هناك ثمة عدة شخصيات أخرى مهمة في بنية الإنتاج الأدبي نذكر منها عمر يمني وحقوص ارعدوم ...الخ، تسلط الأضواء على بعض أركان الإنتاج منها إن الاختلاف الديني لا يشكل عائقا للانسجام الاجتماعي أو حائلا دون الاندماج الثقافي، بدليل انخراط حقوص ارعدوم المسيحي الارتري في مجتمع خشم القربة الميكروسكوبي السوداني الإسلامي، لدرجة " ...كان الكثيرون يعتقدون بان حقوص إذا رشح نفسه في الانتخابات المحلية، فانه حتما سوف يفوز بها. " ويعكس ذلك عمق تقدير واحترام سكان القرية لدور حقوص ارعدوم النشط في تنمية المنطقة وخلق فرص عمل لأهلها. وأيا كان الأمر، فلا يمكن استخلاص حكم عام عن حدث استثنائي رغم أهميته وغور دلالته.

بعد فشلها في القبض على إدريس محمد صالح، صبت السلطات الأثيوبية الاستعمارية جم غضبها ومررتها على أخيه أحمد إدريس عبر أجهزتها القمعية، لا لجريمة ارتكبها، وإنما انتقاما من أخيه، وهذه هي الاستراتيجية الرعناء والعقيمة التي اعتمدتها الأنظمة الاستعمارية المتعاقبة في إرتريا. والمهم في الأمر إن إدريس لجأ إلى السودان، واستقر به المقام بمدينة كسلا، ولم يشعره سكانها بالغربة، بل تم احتضانه، ووجد المدينة وأهلها يشكلان امتدادا طبيعيا لمدن وقرى غرب ارتريا من حيث العادات والتقاليد والتركيبة السكانية، حيث تقطن قبائل البني عامر والحباب والبجا على طرفي الحدود، وان الحدود ذاتها تكاد تكون وهمية،

ولا يعيرها أي اهتمام سكان المنطقة سواء من الجانب الارتري أو من الطرف السوداني. وزوجته فاطمة هي الأخرى لم تصادفها أي عقبة في التكيف والتعايش في كسلا، بدليل إنها لم تقم علاقات مع نساء القبائل السودانية . الارترية المتداخلة عبر المناطق الحدودية وحسب، بل نسجت صداقات قوية مع أبناء وبنات الجعلية والشاقية والدناقلة والنوبة، ويذهب الكاتب ابعد من هذا التداخل السكاني والتعايش الأخوي، منوها إلى أن المياه الارترية المتدفقة من سيتيت والقاش وبركا، تترقرق وتنساب لكي تصب وبسخاء في كسلا وطوكر وعطبره، غير عابئة بالقيود ومتجاوزة كل الحدود، حاملة ومحملة بروافد الحياة لأرض وأهل السودان .

ففي الوقت الذي كان إدريس يكد ويجد بحثا عن لقمة عيش لأسرته، فان هاجسه الأول والأخير تمركز حول أحوال وطنه السياسية وتطوراتها السريعة، وبات يلتقط الأخبار من هنا وهناك، وبما إن دول الجوار تتأثر بقدر ما تؤثر في بعضها البعض، شرع في شرح الأوضاع السياسية السائدة في إرتريا لمعشر السودانيين، متابعا في ذات الآن مجريات الأحداث في السودان، حيث عاش وعايش حيثيات الانقلاب العسكري الذي قاده الفريق إبراهيم عبود في عام 1958 ضد أول حكومة وطنية مدنية، إلى أن شرع في تضيق الخناق على الشعب السوداني، وغدت الحياة الاقتصادية تتدهور، وأصبح إدريس نفسه أحد ضحاياها. هذا على الصعيد السوداني الخالص، فإذا ما نظرنا إلى الأمور من المنظار الإرتري الصرف، فان نظام الفريق عبود وطد علاقاته مع النظام الإمبراطوري الإثيوبي وأعتمد سياسة مطاردة وملاحقة القوى الوطنية الإريترية في السودان، ولم يكتف بذلك الحد من العداء، وإنما أقدم على إلقاء القبض على مناضلين إريتريين وتسليمهم للنظام الأثيوبي، الذي لم يتردد قيد أنملة على تصفيتهم جسديا والتمثيل بجثامينهم لكي يكونوا عبرة لمن يخرج عن طاعة المستعمر الأثيوبي، ولكن هيهات، فالقد سفه الشعب الإريتري تلك الأحلام الإمبراطورية، وضرب بها عرض الحائط وبددها،

وعزز من عملية الصمود والتصدي والتحدي، مقدما النفس والنفيس في سبيل حريته واستقلاله.

وبحكم وجوده في مدينة كسلا الحدودية، لم يكن عسيرا على إدريس أمر متابعة مجريات الأحداث السياسية في ارتريا عبر الأشخاص الوافدين من ارتريا من دون انقطاع وبوتيرة متسارعة تكاد تكون موازية لتصاعد عمليات الاضطرابات والحملات الأمنية العشوائية من جانب، ومن جانب آخر واكب أولا بأول عملية تأسيس حركة تحرير اريتريا في عام 1958 بالرغم من طابع السرية التامة التي اتسمت به ، وعرف الخطوط العريضة لأهدافها السياسية ممثلة في " تحقيق الوحدة الوطنية، والعمل من اجل استقلال إرتريا، وإيجاد حكم وطني ديمقراطي ..." . كما تابع عن كثب وباهتمام وشغف ميلاد جبهة التحرير اريترية وبداية الكفاح المسلح في عام 1961 بقيادة حامد إدريس عواتي، علاوة على الصراعات غير المبررة بين الحركة والجبهة والتناقضات الداخلية لهذه الأخيرة, ولا غرابة إذا كانت روح إدريس المعنوية ترتفع وتهبط على ضوء الأخبار السارة أو المحزنة القادمة من الساحة الاريترية أو الوافدة من بورت سودان.

ومع مرور الأيام غدت الحياة المعيشية لأسرة إدريس بكسلا لا تطاق، ومما زاد الطين بلة تدهور الأوضاع السياسية في السودان ولجوء نظام عبود الى اتخاذ المزيد من الإجراءات الأمنية بغية إحكام قبضته الحديدية عسى ولعلى ذلك يجهض ويخمد روح الانتفاضة الثورية التي كان يموج بها المجتمع السوداني حينذاك. هذه الظروف الخاصة والعامة أملت على إدريس أن يفكر مليا قبل اتخاذه في خاتمة المطاف قرار شد رحاله، وشروعه على إعداد هذه المرة رحلة العودة إلى وطنه مهما كانت التحديات الوجودية التي ستكون له بالمرصاد. وبينما هو يفكر ويعد لرحلة العودة إلى ارض الجذور، انبلج فجر انتفاضة أكتوبر 1964، مكتسحا وبسرعة البرق جميع الحواجز النفسية، ومبددا عبر أشعته

الناصعة والساطعة، الظلام الدامس الذي خيم في ربوع السودان على مدى ست سنوات عجاف. وإذ ذاك بدأ النشاط السياسي يدب في الساحة السودانية بين مختلف الأحزاب السياسية اليسارية والليبرالية والطائفية، وأعلنت في سوادها الأعظم تضامنها مع نضال الشعب الارتري.

وهكذا ولج السودان مرحلة تاريخية جديدة، وأدرك إدريس بان ظهر الثورة الارترية بات محميا، وأضحت الساحة السودانية مقبلة على نشاط سياسي وتضامني مع كفاح شعبه، وان الحياة الاقتصادية في كسلا وسواها من المدن السودانية ستدب فيه روح الحياة والانتعاش، وبينما هو سعيد بما يدور حوله وبين أهل السودان من جراء المناخ السياسي الجديد الذي خلقته ثورة أكتوبر، علم بان الواقعة التي كان يخشى وقوعها بين رفاق السلاح والهدف والمصير قد وقعت كالصاعقة، والحرب الأهلية قد أنشبت مخالبها المسمومة والقاتلة على الثورة الارترية، وتحديدا في منطقة عيلا ظعدا حيث وقعت معركة عبثية في عام 1965 بين حركة تحرير اريتريا وجبهة تحرير اريتريا سقط ضحيتها خيرة من الثوار، وهكذا تغلغل فيروس سرطاني خبيث في جسد وروح وعقل القيادة الارترية في التنظيمين، ولم تنزل تلك ألازمة أو اللعنة من السماء، بحكم ان السماء لا تمطر ذهبا أو لعنة، إنما التفسير التاريخي الموضوعي للحرب الأهلية الارترية يكمن ضمن أسباب موضوعية أخرى، لا يتسع المقام هنا للتطرق إليها بصورة معمقة، إلى " الانطلاقة العرجاء " للحركة والجبهة بصورة متفاوتة، وهى عنون الفصل الخامس والأخير من هذا الجزء من سلسلة الأجزاء السابقة واللاحقة للكاتب الأمين محمد سعيد.

مجمل هذه التطورات الإيجابية والسلبية على الساحة السودانية والإرترية أشاعت في نفس إدريس ومضة أمل بقدر ما غرست أيضا في قلبه وخزة ألم ، ولكن لا الأمل و لا الألم لم يثني إدريس محمد صالح عن قراره النهائي والقاضي بعودته إلى أرض وطنه مهما كان الثمن، وفي ذلك غير رسالة ظاهرية وباطنية من ناحية،

و صورية وجوهرية من ناحية أخرى، أراد الكاتب إيصالها بصورة إبداعية وإيحائية نابضة وخلاقة.

هذا مجرد عرض موجز لكتب المناضل الشهيد الامين محمد سعيد الخمسة، التي أشرف على إصدارها، والآن وبعد استشهاده آمل أن ترى النور أيضا بقية كتبه ودراساته ومقالاته التي لم تنشر بعد، وهي كثيرة.